مصطلحا النبي والرسول
في
العقيدة الإسلامية

د.عبد الله عبد المطلب عبد الحميد النعيمي

كلية الآداب/ قسم علوم القرآن

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد:

فإن شرف العلم من شرف موضوعه، وغير خافٍ على أحد ما لعلم العقيدة من شرف عظيم وأهمية خطيرة؛ كيف لا؟! وبصحة العقيدة يدخل العبد ركب الإيمان، وهي أول واجب وأول ما دعا إليه رسل الله وأنبياؤه من أولهم وحتى خاتمهم رسول الله محمدﷺ.

ومما ينبغي العناية به تحرير مصطلحات هذا العلم الجليل، فجاءت من هنا رغبتي في المشاركة في هذا الاتجاه.

وقد وجدتُ أن من بين المصطلحات التي حصل فيها الخلاف بين أهل العلم قديماً وحديثاً مصطلحي (النبي) و(الرسول)، فجاء اختياري ليكون عنوان بحثي هذا (مصطلحا النبي والرسول في العقيدة الإسلامية).

وقد قسمتُ البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة، وكالآتي:

المقدمة خصصتُها لبيان سبب اختيار الموضوع وخطة البحث، والمبحث الأول بينتُ فيه معنى الرسول والنبي في لغة العرب، وأما المبحث الثاني فجاء لبيان الفرق بين الرسول والنبي، ذاكراً مذاهب علماء المسلمين في هذه المسألة مع ذكر أدلتهم. وأما الخاتمة فكانت مخصصة لبيان أهم النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

واجتهدتُ في بحثي هذا أن أكون متجرداً من الهوى، وبحثتُ جميع المسائل التي تعرضتُ لها بموضوعية، وعرضتُ جميع الآراء بحسب طاقتي ومُكْنتي وبينتُ ما لها وما عليها وكنتُ أقف من جميع الآراء على مسافة واحدة، حتى يتبين لي الحق من بينها.

وقد رجعتُ في هذا البحث إلى مصادر متنوعة ما بين كتب علم الكلام ومعاجم اللغة وكتب التفسير والحديث وشروحه.

وختاماً أسأل الله سبحانه أن يجعلني موفقاً في بحثي هذا، وأن ينفعني به وينفع من قرأه ونظر فيه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الأول
معنى النبي والرسول في لغة العرب

المطلب الأول- معنى النبي لغة:

وردت في كلمة (النبي) لغتان للعرب:

اللغة الأولى: الهمز (النبيء)، وقد ذكر سيبويه فيما نقل عنه ابن منظور أن هذه لغة رديئة قال ابن منظور: «يعني لقلة استعمالها»[١]، وقد رُوي عن النبي ﷺ أنه قال- وقد قيل له: يا نبيء الله- فقال: «**لا تنبر باسمي؛ فإنما أنا نبي الله**» وفي رواية: «فقال: **لستُ بنبيء الله ولكني نبيُّ الله**»[٢] قال ابن منظور: «وذلك أنه ﷺ أنكر الهمز في اسمه، فردَّه على قائله؛ لأنه لم يَدْرِ بما سماه فأشفق أن يمسك على ذلك»[٣].

قلتُ: والحديث المذكور حديث ضعيف لا يصح، كما يظهر من كلام الحافظين الذهبي وابن حجر العسقلاني[٤]، ولذلك لا يصح الاعتماد عليه ولا داعي للتعليل الذي ذكره ابن منظور طالما لم يصح الحديث؛ لأن محاولة توجيه الحديث فرع عن تصحيحه.

وعلى هذه اللغة تكون هذه الكلمة مشتقةً من النبأ، وهو خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم [أي: يقين] أو غلبة ظن[٥]؛ فالنبي هو المُخْبِر (أو: المُنْبِئ) عن الله تعالى[٦].

وعلى هذا إنما سُمي النبي نبياً؛ لأنه يُخْبِر غيرَهُ بأمر عظيم عن الله سبحانه وأخباره كلها تفيد اليقين. فيكون النبيء على وزن (فعيل) بمعنى (فاعل)[٧].

وجوز بعضهم أن يكون النبيء على وزن (فعيل) بمعنى (مفعول)، فيكون سبب تسمية النبيء بهذا الاسم أنه يُخْبَر بأمر عظيم من قبل الله تعالى[٨].

وبناء على ما سبق يكون (النبيء) من المشترك اللفظي[٩]؛ حيث يُطلق على المُخبِر وعلى المُخبَر، ولا مانع من أن يُحمل لفظ (النبيء) على المعنيين؛ لأن الصحيح جواز حمل المشترك على جميع معانيه إذا أمكن ذلك[١٠].

وقد جوز بعض الباحثين أن تكون كلمة (النبيء) بمعنى الطريق الواضح، فيكون النبيء إنما سُمي نبيئاً؛ لأنه الطريق الموصل إلى الله تعالى[١١]، وهذا المعنى جميل، إلا أنني لم أقف على هذا المعنى لكلمة (نبيء) في المعاجم اللغوية التي بين يدي، والباحث

المشار إليه لم يذكر مصدره في ذلك. ولهذا أرى أن النبيء– بالهمز– مشتق من النبأ على ما سبق بيانه، والله أعلم.

اللغة الثانية: (النبي) بدون همز[١٢]، وعلى هذه اللغة يوجد احتمالات ثلاثة:

الاحتمال الأول: أن يكون (النبي) أصله (النبيء) خُفِّفت همزته، وعلى هذا لا يكون هناك فرق بين (النبي) وبين (النبيء)؛ فكلاهما مشتق من (النبأ)[١٣].

الاحتمال الثاني: أن يكون (النبي) مشتقاً من النَّباوة، أي: الارتفاع؛ لأن النبي مرتفع الرتبة عن غيره[١٤]. وعلى هذا يكون (النبي) على وزن (فعيل) بمعنى (مفعول)؛ لأن الله رفعه على سائر الخلق[١٥].

الاحتمال الثالث: أن لفظ (النبي)– بغير همز– جاء في لغة العرب بمعنى الطريق الواضح[١٦]. وذكر بعضهم أن من معاني النبي: الأعلام الموجودة على الأرض التي تهدي السالكين وتوضح لهم الطريق[١٧]، وأرى أنه لا فرق بين هذين المعنيين، فالطريق الواضح لا يكون واضحاً ما لم تكن فيه أعلام تهدي سالكيه. وعلى هذا يكون سبب تسمية النبي نبياً؛ لأنه الطريق الواضح الموصل لرضا الله سبحانه[١٨].

وأرى أنه لا تنافي بين جميع المعاني التي تقدم ذكرها، فالنبي هو المخبَر والمخبِر وهو مرتفع الرتبة على غيره وهو العَلَم الذي يهتدي به السالكون إلى رضا الله تعالى. هذا هو معنى النبي في لغة العرب.

المطلب الثاني- تعريف الرسول لغة:

قال ابن فارس: «الراء والسين واللام أصل واحد مطرد منقاس يدل على الانبعاث والامتداد»[١٩]. فهذه المادة تدل على معنيين:

الأول: الانبعاث، ومنه (الرَّسَل)، وهي ما بُعث من الغنم إلى الرعي. ومنه الرسول الذي بُعث برسالة. والرسالة جملة من البيان يحملها القائم بها ليؤديها إلى غيره[٢٠].

المعنى الثاني: الامتداد، وهو الرفق واللين، ومنه (الرَّسَل) وهو السير السهل، و(وناقة رسلة) أي: سهلة السير لا تكلفك سياقاً، و(ناقة رسلة) أيضا لينة المفاصل، و(شعر رسل) إذا كان مسترسلاً[٢١]. ومن معاني الامتداد: التتابع؛ يقال: (جاء القوم أرسَالاً) أي: فرقاً وأفواجاً يتبع بعضها بعضاً[٢٢].

وإنني ألمس في معنى الرسول المعنيين السابقين (الانبعاث واللين)، فالإرسال هو البعث برفق ولين، والرسول هو المبعوث برسالة، فهو على وزن (فَعول) بمعنى (مفعول).

فالرسول هو المبعوث برسالة معينة مكلف بحملها وتبليغها ومتابعتها. والإرسال لا يكون إلا برسالة وما يجري مجراها، فيُسمى حامل الرسالة رسولاً[٢٣]. ومن هنا قال الراغب الأصفهاني: «أصل الرسل الانبعاث على التُّؤَدَة... ومنه الرسول المنبعث، وتصور منه تارة الرفق فقيل: على رسلك؛ إذا أمرته بالرفق. وتارة الانبعاث فاشتق منه (الرسول). والرسول يقال تارة للقول المتحمَّل قول الشاعر: (ألا أبلغ أبا حفص رسولاً)، وتارة لمتحمِّل القول والرسالة. والرسول يقال للواحد والجمع... وجمع الرسول رُسُل»[٢٤].

المبحث الثاني
الفرق بين الرسول والنبي

المطلب الأول- مذاهب العلماء في الفرق بين الرسول والنبي:

اختلف العلماء في الفرق بين الرسول والنبي على قولين رئيسين، هما:

القول الأول: يرى أصحابه أنه لا فرق بين الرسول والنبي، وهذا المذهب هو مذهب جمهور المعتزلة[٢٥].

القول الثاني: يرى أصحاب هذا القول تغاير الرسول والنبي، وهم جمهور العلماء من أهل السنة، وهو قول الزمخشري من المعتزلة، حيث قال قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ﴾[٢٦]: «دليل على تغاير الرسول والنبي...»[٢٧]. وكذا الجاحظ؛ فقد نُقل عنه أنه فرق بين الرسول والنبي[٢٨].

وقد اختلف أصحاب هذا القول في كيفية التفريق بينهما. وسيأتي تفصيل القول في ذلك.

أدلة القولين:

أولاً- أدلة أصحاب القول الأول: استدل أصحاب هذا القول بأدلة، منها:

١. قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾[٢٩]، ووجه الاستدلال بالآية الكريمة أن الله تعالى أخبر أن الأنبياء مرسلون[٣٠].

٢. إن الله تعالى خاطب في القرآن الكريم عبده محمداً ﷺ مرة بالنبي وأخرى بالرسول، فدل على أنه لا منافاة بين الأمرين[٣١].

٣. أنه تعالى نص على أن رسوله محمداً ﷺ خاتم النبيين[٣٢].

٤. أن اشتقاق لفظ النبي إما من النبأ وهو الخبر أو من قولهم نبأ إذا ارتفع والمعنيان لا يحصلان إلا بقبول الرسالة[٣٣].

ثانياً- أدلة أصحاب القول الثاني: استدل أصحاب القول الثاني بأدلة من القرآن والسنة:

١. أدلتهم من القرآن: الآية التي استدل بها أصحاب القول الأول نفسها، ووجه الاستدلال أنه سبحانه عطف النبي على الرسول والعطف يقتضي المغايرة[٣٤].

٢. أدلتهم من السنة: حديث البراء بن عازب ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «**إذا أتيتَ مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم إني أسلمتُ وجهي إليك وفوضتُ أمري إليك وألجأتُ ظهري إليك رغبة ورهبةً إليك ولا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ ونبيك الذي أرسلتَ. فإن متَّ من ليلتك فأنت على الفطرة، واجعلهن آخر ما تتكلم به**» قال البراء بن عازب: فرددتُها على النبي ﷺ، فلما بلغتُ (اللهم آمنتُ بكتابك الذي أنزلتَ) قلتُ (ورسولك) قال: «**لا: (ونبيك الذي أرسلتَ)**»[٣٥]. وقد سبق هذا الحديث والكلام عليه، فلا حاجة إلى إعادته.

مناقشة الأدلة:

عند التأمل في أدلة القولين نجد أن أدلة القول الثاني أقوى من أدلة القول الأول؛ فأدلة القول الثاني أصرح في الدلالة من أدلة الفريق الأول.

ودلالة الآية التي استدل بها أصحاب القول الأول على التفريق بين الرسول والنبي أقوى من دلالتها على ترادفهما، ولاسيما على بعض الأقوال التي ذُكرت في التفريق بينهما وكما سيأتي تفصيله.

أما الاستدلال بأن الله خاطب عبده محمداً ﷺ بالرسالة مرة وبالنبوة مرة أخرى، فهذا لا يدل على ترادف الرسول والنبي، فهما حقيقتان متغايرتان كما دلت أدلة القول الثاني لكنهما يمكن أن تجتمعا في ذات واحدة، وهذا كمن يتصف بأكثر من صفة، فيصح أن يُنادى مرة بصفة ومرة بالصفة الأخرى، وهذا كالأسماء المتعددة للذات الواحدة وكل اسم يدل على معنى في الذات غير المعنى الذي يدل عليه الاسم الآخر، كما في أسماء الله تعالى الحسنى، فالرحمن يختلف معناه عن معنى اسم الرزاق مثلاً؛ فنحن عندما ننادي الله تعالى بالرحمن مرةً وبالرزاق أخرى لا يدل على ترادف الرحمن والرزاق.

ولذلك نرى أن الفخر الرازي بعد أن ينقل أدلة القول الأول يقول: «أما القول الثاني [يعني التفريق بين الرسول والنبي] فاعلم أن شيئاً من تلك الوجوه لا يبطله، بل هذه الآية [يعني الآية التي استدل بها أصحاب القول الأول] دالة عليه؛ لأنه عطف النبي على الرسول وذلك يوجب المغايرة... وقال في موضع آخر: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦﴾[٣٦] وذلك يدل على أنه كان نبياً فجعله الله مرسلاً، وهو يدل على قولنا»[٣٧].

المطلب الثاني- مذاهب العلماء في وجه الفرق بين الرسول والنبي:

تبين مما سبق أن القول الراجح هو أن النبي والرسول مصطلحان متغايران وليسا مترادفين، فهناك فرق بينهما. وقد اختلف العلماء في وجه الفرق بينهما على أقوال عدة، وفيما يأتي بيانها:

القول الأول: إن بين الرسول والنبي عموماً وخصوصاً مطلقاً؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً[٣٨]، وهذا هو قول جماهير العلماء القائلين بالفرق بين الرسول والنبي[٣٩].

ولكنهم اختلفوا في وجه هذا العموم والخصوص المطلق على فريقين:

الفريق الأول: ذهبوا إلى أن الرسول من أوحي إليه وأُمر بالتبليغ، أما النبي فهو من أوحي إليه مطلقاً سواء أُمر بالتبليغ أم لم يؤمر. وممن قال بهذا القول من القدماء الفراء؛ حيث قال فيما نقل عنه النووي: «فالرسول: النبي المُرسَل، والنبي المحدَّث الذي لم يُرسل»[٤٠].

ومنهم أيضاً أبو سليمان الخطابي؛ حيث ذكر فيما نقل عنه ابن الأثير «أن الرسول: هو المأمور بتبليغ ما أُنبئ وأُخبر به، والنبي: هو المخبر ولم يؤمر بالتبليغ؛ فكل

رسول نبي، وليس كل نبي رسولاً»[٤١]. وممن قال به أيضاً البيهقي؛ حيث قال: «والنبوة اسم مشتق من النبأ، وهو الخبر، إلا أن المراد به في هذا الموضع خبر خاص، وهو الذي يكرم الله عز وجل به أحداً من عباده فيميزه عن غيره بإلقائه إليه ويوقفه به على شريعته بما فيها من أمر ونهي ووعظ وإرشاد ووعد ووعيد، فتكون النبوة على هذا الخبر والمعرفة بالمخبرات الموصوفة. فالنبي هو المخبر بها؛ فإن انضاف إلى هذا التوقيف أمرٌ بتبليغه الناسَ ودعائهم إليه كان نبياً رسولاً، وإن ألقي إليه ليعمل به في خاصته ولم يؤمر بتبليغه والدعاء إليه كان نبياً ولم يكن رسولاً. فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً»[٤٢].

وهذا القول غير مقنع للمتأمل؛ لأسباب ثلاثة في نظري:

السبب الأول: عدم وجود فائدة من إعلام النبي بدون أمره بالتبليغ.

السبب الثاني: عدم وجود دليل صريح على وجود نبي أُوحي إليه ولم يُؤمر بالتبليغ.

السبب الثالث: وهذا السبب يظهر من كلام ابن تيمية رحمه الله؛ حيث يقول: «فإن الآيات الدالة على نبوة الأنبياء دلت على أنهم معصومون فيما يخبرون به عن الله عز وجل؛ فلا يكون خبرهم إلا حقاً، وهذا معنى النبوة، وهو يتضمن أن الله ينبؤه بالغيب وأنه يُنبئ الناسَ بالغيب. والرسول مأمور بدعوة الخلق وتبليغهم رسالات ربه، ولهذا كان كل رسول نبياً، وليس كل نبي رسولاً وإن كان قد يوصف بالإرسال المقيد في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢﴾[٤٣]. ويدل على ثبوت قدر الإرسال للأنبياء ما في صحيح مسلم[٤٤] من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شرما يعلمه لهم**»، وفي الصحيحين[٤٥] وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ في حديث الشفاعة أن الناس يأتون نوحاً فيقولون له: «**يا نوح أنتَ أول الرسل إلى أهل الأرض**». فعُلم بذلك أن نوحاً عليه السلام أول الرسل ونبوة آدم عليه السلام ثابتة بل هو نبي مكلم كما هو ثابت بنص القرآن ولابد له ولمن معه من شرع يتعبدون به كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾[٤٦]. وقد قال الله تعالى: ﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨﴾[٤٧] واتباع الهدى هو امتثال ما أمر الله به واجتناب ما نهى

عنه، وهو معنى الشريعة. وهذا يقتضي أنه أُمر بتبليغ ذلك الهدى زوجَهُ وذريتَهُ، ومع ذلك فهو نبي مكلم وليس برسول لدلالة حديث أبي هريرة»[٤٨].

الفريق الثاني: ذهبوا إلى إن الرسول من أُنزل معه كتاب، والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمر أن يدعو الناس إلى شريعة مَنْ قبله، وممن قال بهذا القول الزمخشري؛ حيث يقول: «أن الرسول من الأنبياء من جمع إلى المعجزة الكتاب المنزل عليه والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وإنما أمر أن يدعو الناس إلى شريعة من قبله»[٤٩]. وهو قول الأشاعرة فيما حكاه عنهم عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، حيث يقول: «وقالوا في الفرق بين الرسول والنبي: إن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيداً بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخُصَّ أيضاً بشرع جديد أو بفسخ بعض أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول»[٥٠]. وممن قال به أيضاً ابن تيمية[٥١].

فالنبي على هذا القول وظيفته تجديد دين الرسول الذي قبله، يقول ابن تيمية: «... فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة؛ فهو نبي، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ** ﴾، وقوله: (**مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ**)؛ فذكر إرسالاً يعمّ النوعين، وقد خص أحدهما بأنّه رسول؛ فإنّ هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى من خالف الله؛ كنوح... وقد كان قبله أنبياء؛ كشيث وإدريس عليهما السلام، وقبلهما آدم كان نبيّاً مكلّماً... فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلّغه العلماء عن الرسول. وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحى إلى أحدهم وحي خاص في قصّة معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالِم الذي يُفهِّمه الله في قضية معنى يطابق القرآن؛ كما فهَّم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود. فالأنبياء ينبئهم الله فيُخبرهم بأمره ونهيه وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي. فإن أُرسلوا إلى كفار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته وحده لا شريك له، ولا بُدّ أن يكذّب الرسلَ قومٌ... فإنّ الرسل تُرسَل إلى مخالفين؛ فيكذّبهم بعضهم... فقوله: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا**

﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ﴾ دليلٌ على أن النبيّ مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنّه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حقّ؛ كالعالِم، ولهذا قال النبيّ ﷺ: **(العلماء ورثة الأنبياء)**[٥٢]...»[٥٣].

وظاهر أن هذا القول وجيه جداً وهو يستند إلى استقراء أحوال الرسل والأنبياء الوارد ذكرهم في القرآن الكريم.

وأصحاب هذا القول يقولون: إن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً؛ وذلك لأن الرسول قد يأتي بما يؤكد شريعة مَنْ قبله- وهذا المعنى موجود في النبي-، ولكنه يأتي مع ذلك بشرائع زائدة على شرائع من قبله من الرسل[٥٤]؛ وهذا معنى قول ابن تيمية: «وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف كان رسولاً وكان على ملة إبراهيم...»[٥٥].

وقد يصح أن يُستشهد لهذا القول بحديث عمرو بن عبسة أنه قال للنبي ﷺ لما قال له «**أنا نبي**»: «وما نبي؟» قال: «**أرسلني الله**» قال: «بأي شيء أرسلك؟» قال: «**بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ وَأَنْ يُوَحَّدَ الله لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**»[٥٦]. فذكر النبي ﷺ أن النبي مُرسل من الله تعالى، ولكنه مُرْسَل بشرائع من قبله، ولذلك فسر النبي بأنه من أرسل بشرائع يعرفونها كصلة الأرحام وكسر الأوثان وتوحيد الله، وهذا مما كان يعرفه بعض من عاش في الجاهلية من الأحناف كورقة بن نوفل وغيره. ولم يذكر النبي ﷺ الشرائع التي خُصَّ بها من بين سائر الأنبياء والرسل كالصلوات الخمس والحج إلى البيت الحرام؛ لأنها من خصائص رسالته وليست من نبوته.

وعلى هذا يكون وصف رسول الله محمد ﷺ بالنبوة إشارةً إلى موافقته لرسالات الرسل من قبله في الجملة وعدم مخالفته لهم في الأصول، ووصفه بالرسالة إشارة إلى أنه جاء برسالة مستقلة عن رسالات الرسل قبل، ومن مظاهر هذه الاستقلالية أنه جاء بكتاب هو القرآن الكريم، ومنها أنه نسخ بعض شرائع من سبقه من الرسل، ومنها أنه جاء بأحكام جديدة زائدة على رسالات من سبقه. والله أعلم.

القول الثاني: وهو قول الواحدي؛ حيث ذهب إلى أن «الرسول: الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه الصلاة والسلام إليه عياناً وحاوره شفاهاً، والنبي: الذي تكون نبوته إلهاماً أو منامًا»[٥٧]. ويبدو لي أن الواحدي أخذ هذا القول عن الثعلبي[٥٨]، وممن قال به البغوي أيضاً[٥٩].

وهذا القول فيه نظر أيضاً؛ لعدم وجود دليل على هذا التفريق، فما هو الدليل اللغوي أو الشرعي على أن النبوة تختص بالإلهام أو المنام؟ اللهم إلا أن يُحتج بقول النبي ﷺ: «الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ من الرَّجُلِ الصَّالِحِ جُزْءٌ من سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا من النُّبُوَّةِ»[٦٠]، وبقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[٦١].

وهذا الاحتجاج غير صحيح؛ لأن المراد أن الرؤيا في النوم هي من مقدمات النبوة لا النبوة نفسها؛ فإن بدء النبوة كان بنزول قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[٦٢]؛ قال النووي نقلاً عن القاضي عياض وغيره من العلماء: «إنما ابتدأ ﷺ بالرؤيا لئلا يفاجئه الملك ويأتيه صريح النبوة بغتةً فلا تحتملها قوى البشرية»[٦٣].

الخاتمة

بعد أن أنهيتُ تجوالي في رحاب هذا الموضوع الرَّحْب؛ موضوع النبي والرسول والفرق بينهما، يطيب لي أن أسطر أهم ما توصلتُ إليه من نتائج وتوصيات، فأقول مستعيناً بالله سبحانه:

١. إن التوجه إلى تحرير مصطلحات علم الكلام من أهم ما ينبغي التوجه إليه والكتابة فيه من قبل أهل العلم وطلابه.
٢. إن موضوع النبي والرسول والفرق بينهما احتل مساحة ليست بالصغيرة في كتب علم الكلام. مما يدل على أهمية هذا الموضوع عند أهل العلم.
٣. إن التفريق بين الرسول والنبي هو مذاهب السواد الأعظم من علماء أهل السنة والجماعة، وهو القول الذي لا ينبغي القول بخلافه لتظافر أدلته من اللغة والقرآن الكريم والسنة والمطهرة.
٤. إن القول بأنه بين الرسول والنبي عموماً وخصوصاً هو قول جماهير مَنْ يرى التفريق بين الرسول والنبي.
٥. إن القول بأن الرسول هو مَنْ أُنزل معه كتاب، والنبي غير الرسول مَنْ لم ينزل عليه كتاب، وإنما أُمر أن يدعو الناس إلى شريعة مَنْ قبله، هو القول الصحيح، لموافقته لحال الأنبياء والرسل الذين ذُكروا في القرآن الكريم.

وختاماً أسأل الله تعالى أن يتقبل عملي هذا وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

هوامش البحث

(١) لسان العرب لابن منظور: مادة نبأ.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين ٢٥١/٢ برقم (٢٩٠٦)، وينظر: كنز العمال لعلاء الدين الهندي ٢٠٧/١١ برقم (٣٢١٤٨).

(٣) لسان الميزان: مادة نبأ.

(٤) ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال للذهبي ٣٣٤/٤، ولسان الميزان لابن حجر العسقلاني ٥/٤.

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٤٨١، وتاج العروس للزبيدي: مادة (نبأ).

(٦) ينظر: لسان العرب: مادة (نبأ)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي: مادة (نبأ).

(٧) ينظر: لسان العرب: مادة (نبأ)، وتاج العروس: مادة (نبأ).

(٨) ينظر: الرسل والرسالات للدكتور عمر سليمان الأشقر ١١.

(٩) المشترك اللفظي: هو اللفظ الموضوع للدلالة على معنيين فأكثر. (ينظر: أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبة الزحيلي ٢٨٣/١).

(١٠) ينظر: المصدر نفسه ٢٨٧/١- ٢٨٩.

(١١) ينظر: اختيارات الجرجاني الكلامية من خلال شرح المواقف، أطروحة دكتوراه لوليد جبار إسماعيل ٢٤٢.

(١٢) ينظر: لسان العرب: مادة (نبأ).

(١٣) ينظر: المصر نفسه.

(١٤) ينظر: تاج العروس: مادة (نبأ)، ومختار الصحاح للرازي: مادة (نبو).

(١٥) ينظر: مختار الصحاح للرازي: مادة (نبو)، وتاج العروس: مادة (نبو).

(١٦) ينظر: تاج العروس: مادة (نبو).

(١٧) ينظر: تاج العروس: مادة (نبو).

(١٨) ينظر: المصدر نفسه.

(١٩) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣٩٢/٢.

(٢٠) ينظر: المصدر نفسه، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ؟؟؟؟

(٢١) ينظر: معجم مقاييس اللغة ٣٩٢/٢.

(٢٢) ينظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: مادة (رسل).
(٢٣) ينظر: لسان العرب مادة (رسل)، والمصباح المنير للفيومي ٢٢٦، والفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ٢٤١.
(٢٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ١٩٥.
(٢٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ٥٦٧- ٥٦٨، والتفسير الكبير للرازي ٤٢/٢٣، والتعريفات للجرجاني ٢٠، والسراج المنير للخطيب الشربيني ٣٤١/٢.
(٢٦) الحج: ٥٢.
(٢٧) الكشاف ١٦٥/٣.
(٢٨) ينظر: تفسير القرآن للعز بن عبد السلام ٣٦٢/٢.
(٢٩) الحج: ٥٢.
(٣٠) ينظر: التفسير الكبير ٤٣/٢٣، التعريفات ٢٠.
(٣١) ينظر: التفسير الكبير ٤٣/٢٣، والتعريفات ٢٠.
(٣٢) ينظر: التفسير الكبير ٤٣/٢٣.
(٣٣) ينظر: المصدر نفسه.
(٣٤) ينظر: الكشاف ١٦٥/٣، التفسير الكبير ٤٣/٢٣.
(٣٥) صحيح البخاري: باب من بات على الوضوء ٢٥٨/١، وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣٦٥/١.
(٣٦) الزخرف: ٦.
(٣٧) التفسير الكبير ٤٣/٢٣.
(٣٨) ينظر: لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية للأسفاريني ٤٩/١.
(٣٩) ينظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ١٧٠/١، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٣٠٧/١٠، معالم التنزيل للبغوي ٣٩٣/٥، وتفسير الخازن ٢٣/٥، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٨٠/١٣، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٥٩٥/٣.
(٤٠) تهذيب الأسماء للنووي ٣٧٢/٢.
(٤١) جامع الأصول لابن الأثير ٤/ ٢٦٢- ٢٦٣.
(٤٢) شعب الإيمان ١٥٠/١.
(٤٣) الحج: ٥٢.
(٤٤) صحيح مسلم (كتاب الإمارة) ٢٣٢/١٢ ، وينظر: سنن النسائي ١٥٢/٧.
(٤٥) صحيح البخاري ١٢١٥/٣، وصحيح مسلم ١٨٤/١- ١٨٥.

(٤٦) المائدة: ٤٨.

(٤٧) البقرة: ٣٨.

(٤٨) الإيمان لابن تيمية ٧/٢.

(٤٩) الكشاف ١٦٥/٣.

(٥٠) الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي ٣٣٢، وينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ١٣٣/٤، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم لأبي السعود ١١٣/٦.

(٥١) ينظر: النبوات لابن تيمية ٢٥٥– ٢٥٦.

(٥٢) ينظر: مسند الشهاب ١٠٣/٢ برقم (٩٧٥).

(٥٣) النبوات ٢٥٥– ٢٥٦.

(٥٤) وقد ينسخ بعض شرائع من قبله، كما تقدم في قول عبد القاهر البغدادي.

(٥٥) النبوات ٢٥٧.

(٥٦) صحيح مسلم ٥٦٩/١.

(٥٧) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للواحدي ٧٢٧/١، وينظر: تهذيب الأسماء ٣٧٢/٢.

(٥٨) من المعلوم أن الواحدي تلميذ الثعلبي، وهو معروف بالأخذ عنه والنقل منه في كتبه (ينظر رسالة الماجستير: كتاب أسباب النزول للواحدي، دراسة وتحليل لياسر إحسان رشيد ٤٣). وهذا القول نقله عن الثعلبي الخازن. (ينظر: لباب التأويل في معنى التنزيل للخازن ٣٣/٥).

(٥٩) ينظر: معالم التنزيل للبغوي ٣٩٣/٥.

(٦٠) رواه البخاري في الصحيح ٢٥٦٢/٦ من حديث أنس ﷺ.

(٦١) رواه البخاري في الصحيح ٣٥٦١/١، ومسلم في الصحيح ٩٧/١.

(٦٢) العلق: ١.

(٦٣) شرح صحيح مسلم للنووي ٢٨٧/١.

المصادر والمراجع

١. **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم:** لأبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٨٢هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط:١, ١٩٩٩م.

٢. **أصول الفقه الإسلامي:** للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، ط:١، ١٩٨٦م.

٣. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل:** للبيضاوي (ناصر الدين عبد الله بن عمر) (ت٧٩١هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ط:١, ١٩٨٨م.

٤. **الإيمان:** لابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) (ت٧٢٨هـ)، دار ابن خلدون.

٥. **تاج العروس من جواهر القاموس:** للزبيدي (محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الدار الهندية.
٦. **التعريفات:** للشريف أبي الحسن علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:٢، ٢٠٠٣م.
٧. **تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل:** لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٩م.
٨. **تفسير القرآن العظيم:** لأبي الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ), دار المفيد, بيروت.
٩. **تفسير القرآن:** للعز بن عبد السلام الدمشقي الشافعي (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم, بيروت, ط:١, ١٩٩٦م.
١٠. **التفسير الكبير:** للرازي (فخر الدين محمد بن عمر) (ت٦٠٤هـ), دار الفكر, بيروت, ط:٣, ١٩٨٥م.
١١. **تهذيب الأسماء:** للنووي (أبى زكريا يحيى بن شرف) (ت٦٧٦هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٢. **جامع الأصول:** لابن الأثير (أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري) (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط:١.
١٣. **الجامع لأحكام القرآن:** للقرطبي (أبي عبد الله محمد بن أحمد) (ت٦٧١هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, ١٩٨٨م.
١٤. **جوهرة التوحيد:** للشيخ برهان الدين إبراهيم بن الحسن اللقاني، المطبوعة مع شرحها تحفة المريد للبيجوري، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ٢٠٠١م.
١٥. **الرسل والرسالات:** للدكتور عمر سليمان الأشقر، دار النفائس، الأردن، ط:١٤، ٢٠٠٧م.
١٦. **السراج المنير:** لشمس الدين محمد بن أحمد الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٧. **السنن:** للنسائي (أحمد بن شعيب)، مكتب المطبوعات الإسلامية، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، حلب، ط:٢، ١٩٨٦م.
١٨. **شرح ابن بطال على صحيح البخاري:** لابن بطال (علي بن خلف البكري القرطبي) (ت٤٤٩هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات دار الكتب العلمية، ط:١, ٢٠٠٣م.

١٩. **شرح الأصول الخمسة:** للقاضي عبد الجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط:١، ١٩٦٥م.
٢٠. **شرح المقاصد:** للتفتازاني (سعد الدين مسعود بن عمر) (ت٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الرحمن عميرة, عالم الكتب, بيروت, ١٩٨٩م.
٢١. **شرح النسفية في العقيدة الإسلامية:** للدكتور عبد الملك السعدي، الرمادي– العراق, ط:١, ١٩٨٨م.
٢٢. **شعب الإيمان:** للبيهقي (أحمد بن الحسين) (ت٤٥٨هـ) , تحقيق: أحمد محمد شاكر, دار التراث العربي للطباعة, القاهرة, ط:٣, ١٩٧٧م.
٢٣. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى (مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء):** للعلامة القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، الحاشية للعلامة أحمد بن محمد بن محمد الشمنى (ت٨٧٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤. **صحيح البخاري:** للبخاري (أبي عبد الله محمد بن إسماعيل)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٦م.
٢٥. **الصحيح:** للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار الجيل، بيروت.
٢٦. **العقيدة الإسلامية الميسرة:** للدكتور محمد عياش الكبيسي، دار السلام, دمشق– بغداد, ط: ٢٠٠٩م.
٢٧. **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية:** لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ), تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد, مطبعة المدني, القاهرة.
٢٨. **الفروق في اللغة:** لأبي هلال العسكري، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجدي.
٢٩. **القاموس المحيط:** للفيرزآبادي (محمد بن يعقوب) (ت٨١٦هـ), مطبعة السعادة, مصر.
٣٠. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل:** للزمخشري (جار الله محمود بن عمر) (ت٥٣٨هـ), تحقيق: محمد عبد السلام شاهين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط:١، ١٩٩٥م.
٣١. **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال:** لعلي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩م.
٣٢. **لسان العرب:** لابن منظور (محمد بن مكرم الإفريقي المصري)، دار صادر، بيروت، ط:١.

٣٣. **لسان الميزان:** لابن حجر (أحمد بن علي العسقلاني)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط:٣، ١٩٨٦م.
٣٤. **لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية:** لشمس الدين محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، ط:٢، ١٩٨٢م.
٣٥. **محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٩٩٣م.
٣٦. **المستدرك على الصحيحين:** للحاكم (محمد بن عبد الله) (ت٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية, بيروت، ط:١، ١٩٩٠م.
٣٧. **مسند الشهاب:** للقضاعي (محمد بن سلامة)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٢، ١٩٨٦م.
٣٨. **المصباح المنير للفيومي:** للفيومي (أحمد بن محمد)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
٣٩. **معالم التنزيل (المطبوع بهامش تفسير الخازن):** للبغوي (الحسين بن محمد) (ت٥١٦هـ), تحقيق: عبد السلام محمد شاهين, دار الكتب العلمية, بيروت, ط:١, ١٩٩٥م.
٤٠. **معجم مقاييس اللغة:** لابن فارس (أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩م.
٤١. **مفردات غريب القرآن:** للراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد) (ت٥٠٠هـ)، تحقيق: محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, بيروت.
٤٢. **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:** للنووي (أبي زكريا يحيى بن شرف) (ت٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط:٢، ١٣٩٢هـ.
٤٣. **ميزان الاعتدال في نقد الرجال:** للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، تحقيق علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:١، ١٩٩٥م.
٤٤. **النبوات:** لابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم) (ت٧٢٨هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.
٤٥. **النهاية في غريب الحديث والأثر:** لابن الأثير الجزري (أبي السعادات المبارك بن محمد) (ت٦٠٦هـ), تحقيق: خليل مأمون شيحا, دار المعرفة, بيروت, ط:١, ٢٠٠١م.

٤٦. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز:** للواحدي (علي بن أحمد) (ت٤٦٨هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم, بيروت، ط:١، ١٤١٥هـ.

الرسائل الجامعية:

٤٧. **اختيارات الجرجاني الكلامية من خلال شرح المواقف:** الوليد جبار إسماعيل نعمان، أطروحة دكتوراه، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٣م.

٤٨. **كتاب أسباب النزول للواحدي- دراسة وتحليل:** لياسر إحسان رشيد النعيمي، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، بغداد، ٢٠٠٢م.